

أضواء البيان

@ 312 وهو دليل أيضاً واضح على أن سبب إزاحة □ قلوبهم هو زيغهم السابق . وقوله :
{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } ، وقوله
تعالى : { فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا } ، وقوله :
{ وَتَقْلَبُ وَتُؤْتِي أَمْرًا لَّيْسَ بِهَا لَبٌ وَمَا كَانُوا بِهَا إِتِقَالًا }
مَرَّةً وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } ، وقوله تعالى : { كَلَّا بَلْ
رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة
على أن الطبع على القلوب ومنعها من فهم ما ينفع عقاب من □ على الكفر السابق على ذلك .
وهذا الذي ذكرنا هو وجه رد شبهة الجبرية التي يتمسكون بها في هذه الآيات المذكورة
وأمثالها في القرآن العظيم . وبهذا الذي قررنا يحصل الجواب أيضاً عن سؤال يظهر لطالب
العلم فيما قررنا : وهو أن يقول : قد بينتم في الكلام على الآية التي قبل هذه أن جعل
الأكنة على القلوب من نتائج الإعراض عن آيات □ عند التذكير بها ، مع أن ظاهر الآية يدل
عكس ذلك من أن الإعراض المذكور سببه هو جعل الأكنة على القلوب ، لأن (إن) من حروف
التعليل كما تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه ، كقولك : اقطعه إنه سارق ، وعاقبه
إنه ظالم ، فالمعنى : اقطعه لعله سرقته ، وعاقبه لعله ظلمه . وكذلك قوله تعالى : {
فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ إِنَّهَا جَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً } أي أعرض عنها لعله جعل الأكنة على قلوبهم . لأن الآيات الماضية
دلت على أن الطبع الذي يعبر عنه تارة بالطبع ، وتارة بالختم ، وتارة بالأكنة ، ونحو ذلك
سببه الأول الإعراض عن آيات □ والكفر بها كما تقدم إيضاحه . .
وفي هذه الآية الكريمة سؤالان معروفان : الأول أن يقال : ما مفسر الضمير في قوله : { أَن
يَفْقَهُهُ } وقد قدمنا أنه الآيات في قوله { ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ } بتضمين
الآيات معنى القرآن . فقوله { أَن يَفْقَهُهُ } أي القرآن المعبر عنه بالآيات كما تقدم
إيضاحه قريباً . .
السؤال الثاني أن يقال : ما وجه إفراد الضمير في قوله { ذُكِّرَ } وقوله : {
أَعْرَضَ عَنْهَا } وقوله { وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ } مع الإتيان بصيغة الجمع
في الضمير في قوله : { إِنَّهَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً } أَن يَفْقَهُهُ
وَفِي ذَٰلِكَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } مع أن مفسر جميع الضمائر المذكورة واحد ، وهو الاسم
الموصول في قوله : { مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ } .

